الطامة

حال الناس يوم القيامة

فضيلة الشيخ
عصام بن عبدالعزيز العويد

مصدر هذه المادة :



دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صفيه وخليله وخيرته من خلقه، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وعليه وعلى الآل والصحب الغرر، من الله أفضل صلاة وأتم تسليم إلى يوم الدين من الله.

أما بعد:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء: 1].

رقيب في الظلمة وفي النور، عند البشر وعند عدم وجودهم، فوق الأرض وتحت الأرض، هو الرقيب جل جلاله.

وهو القائـــــل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــــوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَمَنْ يُطِـعِ اللـهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزًا عَظِيمًا**﴾ **[الأحزاب: 70، 71]**.

وهو القائـــــل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــــوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُـونَ**﴾ **[الحشر: 18]**.

أما بعد:

أبى الله إلا أن يكـــون الخســـار لك أيتها الدنيا.

أبى الله أن لا تكملي بل بـــــأنواع البلايا والأمـــراض تملـــئين، أبى الله إلا أن يزهد العباد فيك بكثرة مـوتى عبـاد اللـه، وبكـثرة الأمراض، وبكثرة الأدواء، وكل ما ينقصك.

أبي الله إلا أن تكـــوني محطة لازديـــاد الحســـنات فحســـب، وإلا أن تكـــوني كما قـــــدرك ﷺ كما في قوله عن أعمـــــار أمته **«أنها ما بين الستين إلى الســبعين»** الذي أخبر به ﷺ وإذا تأملت منذ أن خلق آدم إلى اليوم:

كم ألف ســنة؟ واليــوم الــذي هو يــوم القيامة كم هو من سـنة؟ إنه خمسـون ألف سنة، والعبـاد فيه وقـوف، والعـرق يتصـبب منهم، والشـــمس منهم قريبة بل ورجعـــوا

كما من بطـون أمهـاتهم قد خرجـوا! يـوم عظيم شره، يـوم كبـيرة كربـه، بل وكثـيرة كربه.

اليوم الرهيب:

يقـول الله عز وجـل: **﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾** **[الإنسان: 10، 11]**.

يقـول الله جل جلاله عن هـذا اليـوم، وقد كان المصـطفى ﷺ إذا تحـدث عن هـذا اليـوم احمر وجهه واشـتد غضـبه وارتفع صـوته وانتفخت أوداجه وكأنه منـذر جيش ﷺ يـدخل على النـاس يقـول: **«إن هـذا الجيش مصبحكم أو ممسيكم»**، من عظيم خوفه ﷺ على أمته.

فلا يستغرب ممن تحدث عن هـذا اليـوم واقتدى برسول الله ﷺ، فرفع صـوته واشـتد غضبه واحمرت عيناه [1]، لأنه فعل النـبي ﷺ، ولأن الأمر عظيم. لا إله إلا اللـه.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.

يقول الله عز وجل تبيانًا لشر ذلك اليـوم العظيم، يقـول جل جلاله عن أولئك الـذين أطعموا الطعام، يقول سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**

---

[1] (?) مسلم (867).

﴿ فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَـزَاهُمْ بِمَا صَـبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيــــــــرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَـــــرَوْنَ فِيهَا شَمْسًـــــا وَلا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 10 – 13].

أي يــوم يا تُــرَى غــير السـاعة؟! غــير الطامة؟! غير الصاخة؟! غير القارعة؟! غير الواقعة؟

لا إله إلا الله أي يــوم غــير يــوم القيامة غــير يــوم الـدين؟ اللهم إنا نسـألك الجنــة، ويقول ﷺ عن ذلك اليوم العظيم، الذي تكـثر الكـرب فيـه، وتكـثر الهمـوم، فيه ﷺ يقـول: **«من فرج كربة عن مسـلم من كـرب الـدنيا فـرج الله عنه كربة من كـرب يوم القيامة»**.

دليل على أنه يـــوم مُلئ بـــالكرب مُليء بالهموم، يوم مليء بالأهوال، ولذا قـال جل جلالــه: **﴿هَـلْ أَتَــاكَ حَـدِيثُ الْغَاشِـيَةِ﴾ [الغاشـية: 1]** ولا يــزال ﷺ يقــول - بــأبي هو وأمي، وصـــــلوات ربي وســـــلامه عليه المصطفى ﷺ - يتذكر اليوم العظيم، في ليلة يقرأ قول الله تعالى: **﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَـإِنَّهُمْ عِبَـــادُكَ وَإِنْ تَغْفِـــرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائـدة: 118]** ثم يبكي عليه الصـــلاة والســـلام ويكررها ولا يزيد عليها.

خوفه ﷺ من يوم القيامة:

ها هو ﷺ يــأمر قارئًا للقــرآن يقــرأ عليه فيقــول الصــحابي: أأقــرأ عليك القــرآن يا رسول الله، وعليك أنزل؟ فيقــول ﷺ: «**إني أحب أن أســمعه من غـــيري**»، وإذ به يقرأ سورة النساء حتى يصل إلى قـول الله سبحانه وتعـالى، إلى قـول الله جل جلالـه: (الله أكــبر من إعجــاز القــرآن! إنه يصــور الموقف وكأنك تعايشـــه) الجنة كأنك تراها فتبكي، والنــار فتبكي، والأمم وكأنك معهم، وهذا الوصف فكيف بالمشاهدة؟!!

يقــرأ قــول الله عز وجــل: ﴿**فَكَيْــفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُــلِّ أُمَّةٍ بِشَــهِيدٍ وَجِئْنَا بِــكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا**﴾ **[النساء: 41]**، فقال ﷺ للقارئ: «**حسبك**» أي يكفي.

قال فنظرت إلى رسول الله ﷺ وإذ عينـاه تذرفان بالدموع، لما تــذكر وتصــور الموقف وأنه يجــاء لكل أمة بشــهيد يشــهد عليهم، ومحمد ﷺ يُجاء به يشــهد علينا – نحن أمته – صلوات ربي وسلامه عليه.

لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله ..، إذا نفخ في الـــــــروح إذا نفخ في الصــور، ولا إله إلا اللــه، نفخ في الأجســاد الــروح قــال جل جلالــه: ﴿**فَــإِذَا نُفِخَ فِي الصُّـــورِ فَلا أَنْسَـــابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ **[المؤمنون: 101]**.

أين الأنســاب؟ عبـاد الله قد ذهبـوا الآن.

صور قد نفخ فيه، وأما العباد فمن الأجـداث قد خرجـــوا، ومنه قد انســلوا إلى ربهم قد حشروا إلى القيامة.

علاقة زيارة القبور بيوم القيامة:

ها هو المصـــطفى يقــــول: «**زوروا القبور فإنها تـذكركم بـالآخرة**» عبـاد الله، سنة رسول الله لنا زيـارة القبـور ألا فلتزوروها جميعًـــا، ثم لتقف هـــذا الموقف الليلة.

إذا رأيت القبر فـانظر إلى نفسك عنـدما تدفن، ويندرس أثـرك، وييتم أطفالـك، وأما امرأتك فأصـبحت أرملــة، وأما أعمالك فقد تـــوقفت إلا من ثلاثـــة، أموالك قُسِّـــمت وسورع بجسـدك أن يخـرج من الـبيت لأنك عمَّا قـــريب تصـــبح منتنًـــا، وتـــركت الأهل والأصـــــــحاب، وأغلقت عليك غرفة وليتها غرفة إنما هي لحد مظلم، أين عملك الصـالح حـتى يتسع لك اللحـد؟ أفمن عمل صـالح حـتى يضـاء لك اللحـد. أفمن عمل صـالحً فيكـون لك اللحد روضة من ريـاض الجنة؟

ولتتـــذكر قـــول الله عز وجل وأنت بين القبـــور تنظر إلى الملـــوك، وإلى الأغنيـــاء والأثريـاء، وإلى أهل المظـاهر والزينة وإلى أهل الغفلات.

وتأمل كيف أنهم قد قامت قيـامتهم؛ وقد

ورد في الأثر أنه يقـول: «**إذا مـات ابن آدم قـامت قيامته**»، وأنت تتـذكر بهـذه الوقفة العجيبة قـول الله عز وجـل: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَـإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْـدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِـلُونَ**﴾ **[يس: 51]**، خرجـوا من القبـور: ﴿**الْقَارِعَـةُ * مَا الْقَارِعَـةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَـوْمَ يَكُـونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ**﴾ **[القارعة: 1-4]**.

تذكر يوم تخرج من قبرك:

تذكر نفسك أيها المسـكين عنـدما تخـرج من القبور، وحيدًا، طريدًا، كما قال سـبحانه وتعـالى: ﴿**قَـالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَـذَا مَا وَعَـدَ الـرَّحْمَنُ وَصَـدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ **[يس: 52]**، ثم خرجت يا عبد الله من القـبر وانشـقت عنك الأرض؛ وأول من تنشق عنه الهادي ثم نسـيت الزوجـة، ونسـيت الأصـحاب، والأحبـاب، ﴿**فَـإِذَا نُفِخَ فِي الصُّـــورِ فَلا أَنْسَـــابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ **[المؤمنون: 101]** طـرحت من قبرك، تنثر الـتراب عن جسـدك، تحشر إلى ربك، تبعث وتنشر لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.

أما الوجـوه فيقـول الله جل جلاله عنهـا: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُـوهٌ وَتَسْـوَدُّ وُجُـوهٌ**﴾ **[آل عمران: 106]**.

يا ترى أيكون وجهي ووجهك من الوجـوه

البيضـاء، أم الوجـوه السـوداء!! اللهم بيِّض وجوهنا يا رب العالمين..

﴿يَــوْمَ تَبْيَضُّ وُجُــوهٌ وَتَسْــوَدُّ وُجُــوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُـوهُهُمْ أَكَفَـرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَـذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ **[آل عمران: 106]** اللهم يا رب لا تجعلنا ممن كفر بعد إيمانـــــــــه، يا مقلب القلـوب، والأبصـار، ثبت قلوبنا على دينـك، وصرفها على طاعتك، يا رب العالمين.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّـتْ وُجُـوهُهُمْ فَفِي رَحْمَـــةِ اللَّـــهِ هُمْ فِيهَا خَالِــدُونَ﴾ [آل عمران: 107]، واللهم إنا نسـألك رحمتك يا رب العالمين.

ويقول سبحانه وتعالى: **﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: 22]**. تـذكر يـوم أن تـذهب الجبـال **﴿وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَـالِ فَقُـلْ يَنْسِـفُهَا رَبِّي نَسْـفًا * فَيَـذَرُهَا قَاعًا صَفْصَـفًا * لا تَـرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا...﴾** الآية **[طه: 105-107]**.

أهوال يوم القيامة:

أما السـماء فتشـققت وتبـدلت **﴿يَــوْمَ تُبَـدَّلُ الأَرْضُ غَيْـرَ الأَرْضِ وَالسَّـمَوَاتُ وَبَـرَزُوا للـهِ الْوَاحِـدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبـراهيم: 48]**. **﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَـقَّتْ﴾ [الانشـقاق: 1]**. **﴿إِذَا السَّــــمَاءُ انْفَطَــــرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: 1، 2]**. تنـثر

الكـواكب والنجـوم، تشـقق السـماء، تبـدل الأرض.

﴿**وَإِذَا الْبِحَـارُ فُجِّرَتْ**﴾ [الانفطـار: 3] تشـتعل نـيران ﴿**وَإِذَا الْبِحَـارُ سُـجِّرَتْ**﴾ [التكوير: 6]. ﴿**يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَـرُّ * كَلا لا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْـتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الإِنْسَـانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**﴾ [القيامة: 10-13].

اقترب للناس حسابهم:

يا عبد اللـه، يقـول الله سـبحانه وتعـالى عن ذلك اليوم وكم هي عظيمة غفلتنا وقلة ذكرنا لله عز وجـل: ﴿**اقْتَـرَبَ لِلنَّاسِ حِسَـابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَـةٍ مُعْرِضُـونَ**﴾ [الأنبيـاء: 1] ويقـول جل جلالـه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَـةَ السَّـاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَـذْهَلُ كُـلُّ مُرْضِـعَةٍ عَمَّا أَرْضَـعَتْ وَتَضَـعُ كُـلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُـكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَـذَابَ اللـهِ شَـدِيدٌ**﴾ [الحج: 1، 2]، تذهل المرضعة عن رضيعها فتتركه بعد أن كـانت تهتم به في الـدنيا، ووضـعت الحامل حملهـا. أهـوال وشـدائد، وشرور، وكروب، يا مفرج فرج عنا الشـرور والكروب يا رب العالمين لا إله إلا الله.

يقول سبحانه وتعالى عن أهل الموقـف: ﴿**يَـوْمَ تَرَوْنَهَا تَـذْهَلُ كُـلُّ مُرْضِـعَةٍ عَمَّا أَرْضَـعَتْ وَتَضَـعُ كُـلُّ ذَاتِ حَمْـلٍ حَمْلَهَا**

وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2].

يوم عظيم:

انظر إلي حالي وحالك، وأمي وأمك وكـذا الزوجة والأصحاب، يقول سـبحانه وتعـالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: 33]**.

يوم عظيم، يوم شره كبـير، أفر من أمي وتفر من أمك إي والله وزوجـتي كـذلك، إي والذي نفسي بيده وأبنائي كذلك إي والــذي نفسي محمد بيــده، إي والــذي لا إله غــيره ولا رب لنا سواه، ولا معبود بحق إلا هو، إي ومقلب القلــــوب لنفر من بعض ﴿**فَـــإِذَا جَاءَتِ الصَّـاخَّةُ * يَـوْمَ يَفِـرُّ الْمَـرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيــهِ * لِكُـلِّ امْـرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَـأْنٌ يُغْنِيـهِ﴾ [عبس: 33-37]** يومئذ يـوم القيامة ﴿**لِكُــلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْـفِرَةٌ * ضَـاحِكَةٌ مُسْتَبْشِـرَةٌ﴾ [عبس: 37-39]**، اللهم اجعلنا منهم ومعهم يا رب العــالمين ﴿**وَوُجُــوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَـــرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَـــرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَـرَةُ﴾ [عبس: 40-42]** اللهم لا تجعلنا منهم ولا معهم يا رب العالمين.

يوم عظيم، يوم يكون النـاس حفـاة يـوم يجتمع فيه الأولـون والآخـرون، يـوم تغـرب فيه الشـمس، يـوم يعظم فيه العـرق، يـوم فيه المداينة، وفيه الحسـاب، وفيه المـيزان وفيه الصـحف – إنها الصـحف وما أدراك ما

هي؟! – يـــوم أن تتطـــاير، فبيمينه آخـــذ، وبشماله آخذ، لا إله إلا اللـه، فـرح مسـرور قائــل: **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَــهُ بِيَمِينِــهِ فَيَقُـولُ هَـاؤُمُ اقْـرَءُوا كِتَابِيَـهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَـابِيَهْ * فَهُـوَ فِي عِيشَـــةٍ رَاضِـــيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَـــةٍ﴾ [الحاقــة: 19-22]**. والآخر بشــماله: **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَــهُ بِشِــمَالِهِ فَيَقُــولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَـــــهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِـيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَـــــهْ * هَلَـــــكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه﴾ [الحاقة: 25-29]**، أسأل الله أن يجعلني وإياكم في الجنة العالية.

يـوم عظيم، يـوم رهيب، يقـول جل جلاله عنـه: **﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَـاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 21، 22]**.

يجيء الله مجيئًا يليق بجلاله وعظيم ســلطانه، في ذلك اليــوم الــذي قــدره خمسـون ألف سـنة، عـرش يحمله ثمانيـة، يقـول ﷺ: «**أذن لي أن أتحـدث عن ملك من حملة العرش ما بين شـحمة أذنه إلى عاتقه مسـيرة سـبع مائة عـام**» ملك واحـد، وتجيء والله الملائكـة: **﴿وَجَـاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَـكُ صَـفًّا صَـفًّا﴾ [الفجـر: 22]** تأتي الملائكة صفوفًا، صفًا صفًا، وليس هذا فحسب **﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَــذَكَّرُ الإِنْسَــانُ وَأَنَّى لَــهُ الــذِّكْرَى﴾ [الفجر: 23]** يوم القيامة.

قــال ﷺ: **«يــؤتى بجنهم يومئــذٍ لها ســبعون ألف زمــام مع كل زمــام ســبعون ألف ملك يجرونها»** شــهيق وزفير، حر وعطش رهيب.

وكــــــذا روي أن جهنم أحمي عليها ألف سنة حـتى احمـرت وأحمي عليها ألف سـنة حتى ابيضت ثم أحمي عليها ألف ثالثة حتى اسـودَّت فهي سـوداء مظلمة». أسـأل الله أن يعيــــذنا وإيـــاكم من شـــــرها، يا رب العالمين، ولا إله إلا الله.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَــــذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجــر: 23] كل شــيء يتــذكر، تــذكر اليــوم يا غافــل، واعتــبر بــاليوم قبل أن يقــال: **﴿يَقُـولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَـاتِي﴾ [الفجــر: 24]** عن أي شيء تتذكر؟ يا ترى عن ماذا يقــول هل في البناء تمنَّى، أم في الكنوز تمنَّى، أم في كـــثرة الزوجـــات والأبنـــاء، أم في المراكز والقصــور؟! كلا **﴿يَقُـولُ يَا لَيْتَنِي قَـدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَـدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِـــيَةً مَرْضِـــيَّةً * فَـــادْخُلِي فِي عِبَـــادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجـر: 24-30]**، أسـأل الله لي ولكم الجنة.

هو عين اليقين:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ **[التكاثر: 1، 2]**، أي: أن كل من في القبور زائر وليس مخلدًا إنما هو زائر ليوم القيامة والبعث والنشور، ﴿**كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ**﴾ **[التكاثر: 3-6]**.

ثم والله لنراها: ﴿**ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ **[التكاثر: 7، 8]**، لا إله إلا الله: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا**﴾ **[الزلزلة: 1]**، قبل شهور في زلزال تركيا ملايين ذهبت، ومئات، بل الألوف ماتت، وما كان نطاقه إلا مائة كيلو في مئتين، فكيف والله سبحانه وتعالى يقول عن الأرض بأكملها: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ **[الزلزلة: 1-4]**.

والله إن الأرض ستتحدث فاستحيوا من الله، ولا تقترفوا عليها إلا كل ما يرضي الله.

تذكر ضمة القبر:

وإن «هذه الأرض لها ضمة لو نجا منها أحد لنجا سعد».

قـــــال أهل العلم: والجمع بين ضـــــمتها للكـــافر وضـــمتها للصـــالح هو ما يـــأتي: أن ضـــمتها للكـــافر ضـــمة عـــذاب تختلف منها الأضلاع، تـدخل بعضـها في بعض، أما ضـمة الأرض للصالح فهي كضمة الحـبيب لحبيبـه، فبما أن الصالح فوقها يعبد الله، يقيم شــرع اللــه، ويــدين بــدين اللــه، فكــانت فرحة به مســـرورة وهو على ظهرهـــا، كيف إذا جـــاء بطنهـا؟! كيف إذا جـاء في داخلهـا؟! تضـمه كما تضم الأم ابنها حبًا لها وفرحًا به.

أســـــــأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم: **﴿يَوْمَئِذٍ تُحَـــدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلـــة: 4]**، كيف تحـــدثت؟ **﴿بِـــأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْـــدُرُ النَّاسُ أَشْـــتَاتًا لِيُـــرَوْا أَعْمَـالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْـرًا يَـرَهُ * وَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 5-8]**.

يا رب! أمتي:

وثبت في الصحيحين أن أبا هريرة قال: كان النبي تقدم له الذراع، وكـانت الـذراع تعجبه من اللحم نهس منها نهســـةً: «**أنا سيد الناس يوم القيامة أتــدرون مما ذاك؟**» ثم يجيب على نفسه يقـــــــول: «**يجمع الله الأولين والآخـــــــــرين، وتقرب الشمس من الخلائق**».

ولا إله إلا اللــه، يعظم الهم ويكـثر الغم، فيــأتي النــاس يريــدون الشــفاعة من آدم فيقول أهل الموقف الأولون والآخـرون وقد جيء بجهنم والنـــار والـــدخان وزاد الحر والشـهيق والزفـير لجهنم والشـمس قريبة قـــدر ميل فمنهم من وصل عرقه ســاقيه، ومنهم من حقويه، ومنهم غرق في العــرق، فقـال: عق عــق، ومنهم سـبعون ذراعًا في الأرض.

كل حسب ذنوبه يطلبـــــون من آدم الشـفاعة لفصل القضـاء، للخـروج مما هم فيه، فيقولـون: «**يا آدم أنت أبو البشـر، أسجد الله لك ملائكته، وخلفك بيـده، ونفخ فيك من روحــه، ألا تــرى حالنا وما بلغنا من الهم والغم؟! فيقــول: لست هنــاكم، لست بصــاحبكم، إني عصـــيت ربي وأكلت من الشـــجرة، اذهبوا إلى نوح.**

فيـأتي النـاس إلى نـوحٍ ويطلبـون منه الشفاعة، يا نوح! أنتَ أول رسل الله، ألا ترى إلى حالنا، وما بلغنا من الهم والغم؟! فيقـول: لست بهنـاكم لست بصاحبكم، إن ربي غضب اليوم غضـــبًا لم يغضب قبله مثلــه، ولن يغضب بعده مثله.

الله أكـبر حـال عجيبة غريبة تـذكر

أن الله تعـالى أهلك أقــوام من قبل هود وقوم نـوح وقـوم لـوط وغضـبه يــــــوم القيامة لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعـده مثلـه، يقـول نــوح اذهبـوا إلى غــيري، أني دعـوت على قـــومي دعـــوة فاســـتجاب الله لي اذهبوا إلى إبراهيم.

فيـأتي النـاس إبـراهيم ويطلبـون منه الشـــفاعة فـــيرفض ويقـــول ما قاله الأنبيـــــــاء من قبل ويزيد أني كذبت ثلاث كذبات، اذهبوا لموسى.

فيأتون إلي موسي ويطلبـــون منه فيجيبهم ما أجاب الأولون ويزيد أني قتلت نفسًـــا بغـــير حـــق، اذهبـــوا لعيسى.

فيذهبون إلى عيسى ويقولــون له مثل ما قالوا، فيقول: لست بهنــاكم لست بصاحبكم اذهبوا لمحمد ﷺ.

يقـــول ﷺ: فيـــأتون ويقولـــون: أيا محمد أنت خاتم الأنبياء، ألا تـرى إلى حالنا وما بلغنا؟! فيقول ﷺ: أنا لها أنا لها، فآتى تحت العرش فأخر ساجدًا، ثم يفتح الله علي بمحامد لا أعلمها الآن، ويقـول سـبحانه وتعـالى: سل تعط، واشـفع تشـفع، فـأرفع رأسي ثم أقـــول: رب أمـــتي، فيقـــول الله

تعالى: يا محمد أدخل من أمتك الجنة من لا حســاب عليهم ولا عــذاب من البــاب الأيمن من الجنـــة، وهم في باقي الأبواب سواء».

جعلنا الله وإيـاكم من أهل البـاب الأيمن يا رب العالمين.

فإذا أحـيى الله النـاس يـوم القيامة قـاموا عجلين ينظرون ماذا يراد بهم؟

النفخ في الصور:

قال الله عز وجـل: ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيـهِ أُخْـرَى فَـإِذَا هُمْ قِيَـامٌ يَنْظُـرُونَ**﴾ **[الزمـر: 68]**، فيقــــول الكفــــار: ﴿**يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَـــــــــــدِنَا**﴾ **[يس: 52]**، فيقـــال لهم: ﴿**هَـــذَا مَا وَعَـــدَ الـــرَّحْمَنُ وَصَـــــــــدَقَ الْمُرْسَـــــــــلُونَ**﴾ **[يس: 52]**، ويقال لهم: ﴿**هَذَا يَوْمُ الـدِّينِ**﴾ **[الصــافات: 20]** ويقــال لهم: ﴿**هَـذَا يَــوْمُ الْفَصْـــلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِـــهِ تُكَـــذِّبُونَ**﴾ **[الصافات: 21]**، ثم يؤمر بحشر الناس إلى موقف الجــزاء والحســاب، وهو الســاهرة الــذي قــال الله تعـالى فيــه: ﴿**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْـرَةٌ وَاحِـدَةٌ * فَـإِذَا هُمْ بِالسَّـاهِرَةِ**﴾ **[النازعــات: 13، 14]** قــال مجاهد – رحمه الله -: الساهرة المكـان المسـتوي، ويكـون المحشر بأرض الشام.

عن ابن عبـــاس رضي الله عنهما قـــال:

«من شك أن المحشر بالشام فليقـرأ هـذه الآية ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْـرَجَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْـرِ**﴾ **[الحشـر: 2]** قـال لهم رسـول الله ﷺ يومئذ «**اخرجـوا**» قـالوا: إلى أين؟ قـال: «**إلى أرض المحشر**». **[رواه البزار]**.

قـال وهب بن منبه لما قـرأ قوله تعـالى: ﴿**فَـإِذَا هُمْ بِالسَّـاهِرَةِ**﴾ وهو يومئذ بـبيت المقـدس قـال: ها هنا السـاهرة بـبيت المقدس.

حال الناس عند الحشر:

ومن الناس من يحشر راكبًـا، ومنهم من يحشر ماشـيًا، ومنهم من يحشر على وجهه إلى أرض المحشر بالشـام، عن حكيم بن معاوية عن أبيه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**تحشـرون ها هنا وأومأ بيـده إلى أرض الشـام مشـاة وركبانًا وعلى وجـوهكم**» **[رواه النسـائي وأحمد وقـال ابن حجر في الفتح: إسناده قوي]**.

وقـال تعـالى: ﴿**يَـوْمَ نَحْشُـرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الـرَّحْمَنِ وَفْـدًا**﴾ **[مريم: 85]** قال ابن عبـاس: ركبانـا، ﴿**يَـوْمَ نَحْشُـرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الـرَّحْمَنِ وَفْـدًا**﴾ قال: عطاشا.

وقال تعالى: ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُـوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُـمًّا**

مَـــأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـــاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قـال رسـول الله ﷺ: «**يحشر النـــاس على ثلاثة طرائق راغـبين وراهـبين: اثنـان على بعـير، وثلاثة على بعـير، وأربعة على بعـير، وعشــرة على بعــير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصـبح معهم حيث أصـبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[1].

وقال تعالى: ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُـــوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُـــمًّا**﴾ **[الإسراء: 97].**

والكـــــافر يحشر إلى موقف الحشر والحساب خاشع البصر كما قال الله تعالى: ﴿**خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ**﴾، سـريعًا في مشـيه كما قال تعـالى: ﴿**مُهْطِعِينَ**﴾ يعـني: مسـرعين، رافعًا رأسه كما قـــال تعـــالى: ﴿**مُقْنِعِي رُءُوسِـهِمْ**﴾ «ويحشر النـاس يـوم القيامة حفاة من غير حـذاء، عـراة من غـير لبـاس، غرلاً من غير ختـان، الرجـال والنسـاء على حد سواء لا يلتفت بعضهم إلى بعض لشــدة هول ذلك اليوم، عن عائشة رضي الله عنها

---

1 (?) رواه البخاري: كتاب الرقائق، باب الحشر.

قـــالت: ســـمعت رســـول الله ﷺ يقـــول: **«يحشر النـــاس يـــوم القيامة حفـــاة عراة غـرلا»** قلت: يا رسـول الله النسـاء والرجـــال جميعًا ينظر بعضـــهم إلى بعض، قـــال ﷺ: **«يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضـــــــهم إلى بعض» [أخرجه البخاري ومسلم]**.

وقال الحافظ الحكمي رحمه الله:

غرلاً حفاة مثل خلق أول
أعادهم مبدئهم وهو العلي
ثم يساقون لنحو المحشر
خلقهم النيران ذات الشرر
فيقفون شاخصي الأبصار
منتظري فصل قضا الجبار
في موقف يلجمهم فيه
ويعظم الهول ويشتد الفرق
قد ضوعف الكرب على
ودنت الهول ويشتد الفرق

حال الناس حين تدنو الشمس:

فتقرب الشمس من رءوسـهم قـدر ميل فتشخص الأبصار ويعرق النـاس، فمنهم من يبلغ العـــرق إلى كعـــبين، ومنهم من يبلغ العـــرق إلى حقويـــه، ومنهم من يبلغ إلى ترقوته، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا.

عن المقـداد بن الأسـود قـال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حـتى تكـون منهم قدر ميل**».

قال سـليم بن عـامر: فوالله ما أدري ما عني بالميل، مسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين، قـال: «**فيكـون النـاس على قـــدر أعمـــالهم في العـــرق، فمنهم من يكـون إلى كعبيـه، ومنهم من يكـــون إلى ركبتيـــه، ومنهم من يكون إلى حقويـه، ومنهم من يلجمه إلجامًا**». قال: وأومأ رسـول الله إلى فيـه. **[رواه مسلم]**.

حال مانعي الزكاة:

ثم يقف النـــاس خمســـين ألف ســـنة لا يجلسون فيها ولا يضـطجعون ولا يـأكلون ولا يشربون، عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسـول الله ﷺ: «**ما من صـاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يـؤدي منها زكاتها إلا إذا كـان يـــوم القيامة بُطح لها بقـــاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بخفافهـا، كل ما نفـــدت عليه أخراها عـــادت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسـين ألف سـنة حـتى يقضي بين العبـاد ثم يـــرى ســبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» **[رواه مسلم]**. وهو اليـوم الـذي يقف

فيه العباد.

وعنه ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: «**ما من صـاحب ذهب ولا فضة لا يـؤدي منها زكاتها إلا إذا كـــان يـــوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهـــره كلما بـــردت أعيـــدت له في يـــوم كـــان مقـــداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العبـاد ثم يـرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» **[رواه مسلم]**.

لجوء أهل المحشر للأنبياء:

فـإذا وقف النـاس خمسين ألف سنة رغبـوا إلى الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام في الشـــــفاعة لهم عند الله في المجيء لفصل القضاء بين العباد وصرف أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، فكلما أتـوا نبيًّا من الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام في الشفاعة لهم يقـول: لست لها لست لهـا، حتى إذا أتوا نبينا محمـدًا ﷺ يقـول: «**أنا لها أنا لها**».

عن أنس بن مالك ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**إذا كـــان يـــوم القيامة مـــاج الناس بعضهم إلى بعض فيـأتون آدم فيقولون: له اشفع لذريتك، فيقول: لست لهـــا، ولكن عليكم بـــإبراهيم ﷺ فإنه خليل اللـــه، فيـــأتون إبـــراهيم**

فيقـــول: لست لهـــا، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم اللـــه، فيـــؤتى فيقـــول: لست لهـــا، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمتـــــه، فيـؤتى عيسى فيقـول: لست لهـا، ولكن عليكم بمحمد فأوتي فأقول: أنا لها»
[رواه البخاري ومسلم].

فيسـجد النـبي تحت العـرش سـجدة واحـدة لا يرفع فيها رأسه حـتى يأتيه الإذن بالشـــفاعة، فيقـــال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه.

عن أنس بن مالك قـال: قـال رسـول الله : «**فـأنطلق فأسـتأذن على ربي فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمـده بمحامد لا أقـــدر عليها الآن يلهمنيه اللــه، ثم أخر له سـاجدًا، فيقـال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسـمع لـك، وسل تعطـه، واشـفع تشـفع» [رواه البخاري ومسلم].**

لأن الشفاعة لا تقبل إلا بشرطين:

الأول: الإذن للشافع، قـال تعـالى: **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ [البقـرة: 255].**

الثاني: الرضا عن المشـفوع لـه، قـال تعالى: **وَلا يَشْـفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَـى**

[الأنبيـــــاء: 28]، والله لا يرضى إلا عن الموحدين.

عن أبي هريـرة قـال: قلت: يا رسـول الله: من أحق الناس بشفاعتك، قال: **«من قـال لا إله إلا الله مخلصًـا من قلبه»** **[رواه البخـــاري]**، وهـــذه الشـــفاعة هي الشـفاعة الكـبرى الـتي خص بها نبينا عن سائر الأنبياء وغيرهم.

بعدها يجيء الله عز وجل لفصل القضـاء بين عبـــاده، قـــال تعـــالى: **﴿وَجَـــاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَـفًّا﴾ [الفجـر: 22]** فيجيء مجيئًا يليق بجلاله ليس كمجيء المخلـــوق، قـال تعـالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ وَهُـوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]**.

وقال القحطاني رحمه الله:

والله يومئذ يجيء لعرضنا
مع أنه في كل وقت دان
وعليه عرض الخلق يوم
للحكم كي يتناصف الخصمان

حال الناس حين عرض الكتب:

فيجيء بـالكتب الـتي كتبت فيها أعمـال العباد ويجيء بالرسل والشهداء، وتستشـهد الجـوارح، حـتى يقر كل عامل بعملـه، قـال تعـــالى: **﴿وَأَشْـــرَقَتِ الأَرْضُ بِنُـــورِ رَبِّهَا وَوُضِـــعَ الْكِتَـــابُ وَجِيءَ بِـــالنَّبِيِّينَ**

وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُـوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُـونَ﴾ [الزمـر: 69، 70].

فيقـرر الله عبـاده بأعمـالهم عن طريق الكتب الـتي سـجلت فيها أعمـالهم، ﴿**هَـذَا كِتَابُنَا يَنْطِـقُ عَلَيْكُمْ بِـالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِـخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُـونَ﴾ [الجاثيـة: 29].**

حال الناس حين الشهادة عليهم:

ثم يشـهد الشـهود من الملائكة الـرقيب والعتيد، قال تعـالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَـوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيـدٌ﴾ [ق: 18]**، والكـرام الكـاتبين قـال تعـالى: ﴿**كِرَامًا كَـاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 11، 12]**، وشهادة الأعضاء قال تعالى: ﴿**الْيَـوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِـبُونَ﴾ [يس: 65]**، وغيرها حـــتى يقر كل عامل بعملـــه، ثم يعطي الله عز وجل كل إنسان كتابه بنفسه ليقرأه، والذي لا يعـرف القـراءة يعلمه الله إياها.

قـال تعـالى: ﴿**وَكُـلَّ إِنْسَـانٍ أَلْزَمْنَـاهُ طَـائِرَهُ فِي عُنُقِـهِ وَنُخْـرِجُ لَـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ كِتَابًا يَلْقَـاهُ مَنْشُـورًا * اقْـرَأْ كِتَابَـكَ كَفَى بِنَفْسِـكَ الْيَـوْمَ عَلَيْـكَ**

حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13، 14].

فيقرأ الإنسان كتابه قراءة يعرف جميع ما فيه، فيجد ذنوبه ومعاصيه وغدراته وفجراته، فيخاف من عذاب الله خوفًا شديدًا قال تعالى: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: 49].**

حساب لا يفرط في شيء:

ثم بعد معرفة الإنسان لحسناته وسيئاته عن طريق الكتب التي سجلها عليه الكرام الكاتبون والرقيب والعتيد من الملائكة الذين قال الله فيهم: **﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** وقال تعالى: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**.

شهادة أعضاء الإنسان عليه:

فإذا عرف الإنسان أعماله عن طريق الكتب التي سجلت فيها أعماله وشهادة الملائكة عليه يبدأ الجدل مع الله عز وجل وصدق الله يوم قال: **﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾**، فيقول: أي ربي أنت العدل، وعدتني بأن لا تظلمني، فلا أقبل اليوم شاهدًا إلا من نفسي، فيختم الله على فمه فتشهد عليه جوارحه كل جارحة بما عمل بها، قال تعالى: **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى**

أَفْــوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْــدِيهِمْ وَتَشْـــهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِــبُونَ﴾ [يس: 65]، العين تشــهد بما رأت والأذن بما ســمعت، واليد بما بطشـــــــت، والرجل بما خطت، واللســــــــان بما تكلم، والجلد بما لمس، والفرج بما اقترف.

قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَــارُهُمْ وَجُلُــودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُــونَ * وَقَــالُوا لِجُلُــودِهِمْ لِمَ شَــهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَــالُوا أَنْطَقَنَا اللــهُ الَّذِي أَنْطَـــــقَ كُـــــلَّ شَـــــيْءٍ﴾ [فصـلت: 20، 21]** فـإذا عـرف أعماله عن طريق شـــهادة جوارحه عليه تحـــول إلى الجدل مع جوارحه، فيقول كما قال الله عز وجــل: ﴿**وَقَــالُوا لِجُلُــودِهِمْ لِمَ شَــهِدْتُمْ عَلَيْنَا**﴾، فيعتذر إليه جلده بأن الله هو الــذي أنطقه وأنه لم يشهد وحده بل شــهدت معه جميع الأعضاء فيقول كما قال عنه: ﴿**قَــالُوا أَنْطَقَنَا اللــهُ الَّذِي أَنْطَـقَ كُـلَّ شَـيْءٍ**﴾، بعــدها يقــول الإنســان لجوارحه وأعضــائه: بعدًا لكن وسحقًا، عنكن كنت أناضل.

لن تستتر بمعصيتك عن ربك:

والإنســان يســتطيع أن يســتتر بمعصــيته عن كل مخلــوق، إلا عن أعضـــائه لا يمكنه الاستتار.

قال الله تعـالى: ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَسْــتَتِرُونَ**

أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُــودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللــهَ لا يَعْلَمُ كَثِــــيرًا مِمَّا تَعْمَلُـــــونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِـــــــرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصــلت: 22، 23].

فـــــإذا خلا الإنســـــان بمعصـــــيته عن المخلوقين فـأغلق الأبـواب ووضع الحجـاب وأرخى الأســتار وأطفأ الأنــوار رآه اللطيف الخبـير الغفـار، قـال تعـالى: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].**

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ [العلق: 14]**، وقال تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد: 7].**

وقال القحطاني رحمه الله:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة
والنفس داعية إلى الطغيان
فاستح من نظر الإله وقل له
إن الذي خلق الظلام يراني

فــإذا قــرر العبــاد بأعمــالهم عن طريق الكتب وشـــــهادة الشـــــهود من الملائكة والجــوارح نصب الله عــزَّ وجــلَّ المــيزان ووزن به أعمال العباد، قال تعالى: ﴿**وَنَضَـعُ الْمَـوَازِينَ الْقِسْـطَ لِيَـوْمِ الْقِيَامَـةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**

 [الأنبياء: 47].

حال الناس بعد التقرير بالأعمال:

أما من رجحت حسناته على سـيئاته أخذ كتابه بيمينه،وقال كما قال الله تعـالى عنـه: **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَـهُ بِيَمِينِـهِ فَيَقُـولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَـهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ [الحاقة: 19، 20].**

فـإذا أخذ كتابه بيمينه فـرح فرحًا شـديدًا لأنه نجح فيه فهو (ناجح في التوحيـد، نـاجح في الإيمـان، نـاجح في الصـلاة، نـاجح في الزكاة، نـاجح في الصـيام، نـاجح في الحج، نـــاجح في الســـمع لأنه لم يســـمع به إلا ما أحل اللــــه، نــــاجح في طاعة الله وطاعة رسوله ، بعدها ينادي منـاد يسـمعه كل من في المحشر باسم ذلك الإنسـان واسم أبيه اللذين كان يعرف بهما في الدنيا رجلاً كـان أو امــرأة فيقــال: لقد ســعد فلان بن فلان ســعادة لا يشــقى بعــدها أبــدًا، وإن كــانت امــرأة يقــال: لقد ســعدت فلانة بنت فلان سعادة لا تشقى بعدها أبدًا.

ثم ينصرف إلى حوض النبي الذي قـال الله فيه: **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَـوْثَرَ [الكـوثر: 1]** والذي قال فيه النـبي : **«بـأن عرضـه شهر وطول شهر أوانيه كعدد نجــوم الســـماء، ومــــاؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العســـل، من شـــرب منه**

شربة لا يظمأ بعدها أبدًا».

وقال القحطاني رحمه الله:

وصراطنا حق وحوض نبينا
صدق له عدد النجوم أوان
يسقى به السني أعذب
ويذاد عنه مخالف فتان

الظلمة التي تكون على الجسر:

فـــإذا وصل الظلمة الـــتي على الجسر أضـــاء له إيمانه فمشى في تلك الظلمـــة، قـال الله تعـالى: ﴿**يَـوْمَ تَـرَى الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾ **[الحديد: 12]**.

ونور كل مؤمن على قـدر عملـه، ثم يمر على الجسر بقــــدر عمله إلى الجنــــة، لأن الجنة بعد النـــار، والنـــار قبلها وليس للجنة طريق إلا عن طريق الجسر الـــــذي نصب على وسط النـار، أدق من الشـعرة، وأحـدُّ من السيف، وأروغ من الثعلب.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قـــال: ســـمعت رســـول الله ﷺ يقـــول: **«يعطون نورهم على قدر أعمــالهم، فمنهم من يعطي نــوره على إبهــام قدمه يضيء مرة وينطفئ مـرة فـإذا أضـــاء قـــدم قدمه وإذا انطفأ قـــام،**

قــال: فيمــرون على الصــراط كحد السـيف، دحض مزلـة، فيقـال لهم: امضوا على قـدر نـوركم، فمنهم من يمر كانقضـاض الكـوكب، ومنهم من يمر كـــــــــالريح، ومنهم من يمر كـــــــالطرف، ومنهم من يمر كشد الرحــال، يرمل رملاً فيمــرون على قدر أعمالهم.

حـتى يمر الـذي نـوره على إبهـام قدمه تخر يـــدٌ وتعلق يــدٌ، وتخر رجل وتعلق رجـل، وتصـيب جوانبه النـار، قال: فيخلصون فـإذا خلصـوا قـالوا: الحمد لله الــــذي نجانا منك بعد أن أرنـــاك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدًا» [رواه الحاكم والبيهقي مطولاً].

حال الناس على الصراط:

يمر عليه المـــؤمن والكـــافر، فينجي الله المؤمن ويهلك الكافر والعاصي، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَــانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِــيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَــوْا وَنَــذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 71، 72].**

قال ابن القيم رحمه الله:

وينصب ذاك الجسر من فوق

فهاوٍ ومخدوشٌ وناجٍ مسلم

وعن أبي هريـرة وحذيفة رضي الله عنهما قـــال: قـــال رســـول الله ﷺ: «**يجمع الله**

تبارك وتعالى النـاس وترسل الأمانة والـــرحم، فتقومـــان على جنيـــتي الصـراط يمينًا وشـمالاً، فيمر أولكم كـــــالبرق، ثم كمر الــــريح، ثم كمر الطـــير، وشد الرحـــل، تجـــري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصـراط يقـول: ربي سـلم سـلم، حـتى تعجز أعمال العباد، حـتى يجيء الرجل فلا يســـتطيع الســـير إلا زحفًـــا، وفي حـــــافتي الصـــراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش نــــاجٍ، ومكـــدوسٌ في النــــار» [رواه مسلم].

فإذا اجتاز المؤمن الصـراط دخل الجنــة، فيجعل الله طوله ســـتين ذراعًـــا، وعرضه ســـبعة أذرع، ولونه أبيض، وعينيه مكحلـــة، وشـعره مجعـدًا، ويجعل له لباسًـا وكراسي وفرشًـــــا ووســـــائد وخيامًا وغرفًا وطعامًا وشرابًا وزوجات وخدمًا ويحرم عليه الموت فلا يموت، والمرض فلا يمرض، والهــرم فلا يهرم، والحزن فلا يحزن، ويحرم عليه البول والغائط والنوم وكل أذى وقذى.

أما الــذي تــرجح ســيئاته على حســناته فيأخذ كتابه بشـماله، ويقـول كما قـال الله عنـــه: ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَـــهُ بِشِـــمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَـهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَـــــابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَـــــانَتِ**

الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه﴾ [الحاقة: 25-29]، يقول: **﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾**، لا يرد الكتاب لأنه راسب فيه، فهو راسب في التوحيد، راسب في الإيمان، راسب في الصلاة، راسب في الزكاة، راسب في الصوم، راسب في الحج، راسب في السمع لأنه سمع به ما حرم الله من الغيبة والنميمة والكذب والسب والشتم والغناء، راسب في النظر لأنه نظر به فيما حرم الله من النساء، سواء في الطرقات أو الأسواق أو الشاشات أو غيرها، راسب في اللسان لأنه تكلم به فيما حرم الله عز وجل من الغيبة والنميمة والسب والشتم والكذب والغناء وغير ذلك.

فلا يريد الكتاب ولا معرفة النتيجة لرسوبه، يقول: **﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: 25-27]**، ثم يتحسر على ماله وسلطانه اللذين طالما شغلاه عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فيقول: **﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه﴾ [الحاقة: 28، 29]**، بعدها ينادي مناد سمعه كل من في المحشر باسم هذا الإنسان واسم أبيه رجلاً كان أو امرأة اللذين كان يعرف بهما في الدنيا، فيقول:

لقد شــقي فلان بن فلان شــقاوة لا يســعد بعدها أبدًا، فيصرف عن حوض النبي .

ثم يمشي في الظلمة بــدون نــور، قــال تعــالى: **يَــــوْمَ يَقُــــولُ الْمُنَــــافِقُونَ وَالْمُنَافِقَــــاتُ لِلَّذِينَ آمَنُــــوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ...** **[الحديد: 13]**.

ثم يجثو في النــار قــال تعــالى: **وَنَــذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** **[مـريم: 72]** ثم يجعل ضرسه مثل جبل أحد ومقعـــــــده في النـــــــار مثل ما بين مكة والأحسـاء، ثم يسـجن في النـار فراشه من نــــار، ولحافه من نــــار، ولباسه من نــــار، وطعامه من نار، وشرابه من نـار كلما أكلته النـار خلقه الله من جديد لتأكله النـار، قـال تعالى: **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُـودُهُمْ بَـدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** **[النسـاء: 56]**، وهذه حياتهم أبد الآباد قال تعالى: **لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى** **[الأعلى: 13]**.

فهرس المحتويات

* * * *